جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تأملات أسلوبية في سورة الانشقاق

الدكتورة
مي محسن الحلفي
أستاذ الأدب والنقد المساعد ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب للبنات ـ جامعة الملك فيصل ـ الأحساء – المملكة العربية السعودية

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
الجزء الرابع

الملخص

يمثل النص القرآني في تاريخ الحضارة والثقافة العربية نصاً محورياً ، ومن محورية هذا النص نجد اتساع مكتبة التأليف فيما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه حتى تكاد تلك المؤلفات لا تحصى لكثرة عددها وتنوع اتجاهات بحثها ؛ أمّا فيما يتعلق بدراسة النص القرآني وتحليل أساليبه الجمالية ، فالبحوث أكثر وأوسع وربما تكون هذه المحاولة هي أحدى المحاولات التي ترجو أن تكشف عن جمالية وسر ترابط الجزء بالأجزاء الأخرى في النص القرآني عبر التطبيق في سورة الانشقاق ؛ إذ تناولت الدراسة الجوانب الصوتية والدلالية في مبحثين يليها مبحث ثالث استدعاه البحث وهو (تناظر البنى التركيبية ودلالاتها في المشهد القرآني) .

وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها أنّ سورة الانشقاق هي بنية الاختزال والتكثيف أو (الإجمال) لسورتى التكوير والانفطار وهي بنية لا يمكن أن تنفصل عن الأجزاء الأخرى أو تعمل بمعزل عنها .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والآخر بعد فناء الأشـــياء والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار أما بعد ....

فإنّ القرآن الكريم يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصـــاً محورياً ، إذ نجد تأثيرا ملموسا لـــه فـــي مختلـــف جوانـــب الحضارة العربية الإسلامية وفي مراحلها كافة ، ويمكـــن أن نصف الحضارة العربية الإسلامية بأنّها حضارة الكتاب – أي القرآن – بمعنى آخر إنّ الحضارة العربية الإسلامية أنبتـــت أسسها وقامت علومها على أساس لا يمكـــن تجاهـــل مركـــز النص القرآني فيها ، والقرآن يعد العنصر الرئيس في تشكيل أهم نقاط انطلاق تلك الحضارة ، وليس معنى ذلك أنّ الـــنص القرآني هو وحده الذي أنشأ تلك الحضارة المزدهـــرة التـــي ملأت الأرض شرقا وغربا ، وإنّما نشأت هذه الحضارة بفعل عاملين أساسيين هما جدل الإنسان مع الواقـــع مـــن جهـــة ، وعلاقة الإنسان المؤمن بالنص القرآنى وحواره معه من جهة أخرى ، فللقرآن في الحضارة العربية الإسلامية أثـــر ثقـــافي

كبير لا يمكن التقليل من أثره في تشكيل الحضـــارة العربيـــة الإسلامية بمختلف علومها ، فضلا عن تحديد طبيعـــة تلـــك العلوم .

وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية فـــي تركزهـــا حول هذا النص المحكم المحوري فلابد أن نجد أثر هذا النص المحكم في مختلف جوانب الحضارة ولاسيما العلمية منهـــا ، وهذا عين ما نلحظه بمجرد إلقاء نظرة سريعة على أســـباب نشأة كثير من العلوم في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ولاسيما العلوم المتعلقة باللغة ، إذ نجد أنّ أغلب تلك الأمـــور المتعلقة بهذه النشأة ترتبط بالقرآن وأكثر تلك العلـــوم نشـــأة خدمة له .

ومن محورية هذا النص القرآنى المحكم فـــي تـــاريخ الحضارة العربية الإسلامية نجد اتساع مكتبة التـــأليف فيمـــا يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه حتى تكـــاد تلـــك المؤلفـــات لا تحصى لكثرة عددها وتنوع اتجاهات بحثها، فضلا عن نشوء وتنوع العديد من العلوم التي عرفت فيما بعد بعلوم القـــرآن – وهي مجموعة العلوم التي كان مدار بحثها يقتصر على تناول المشكلات والقضايا التي قد يثيرها القرآن الكريم لدى النـــاس ومحاولة بيان وتوضيح تلك المشكلات التي قد يثيرها القـــرآن

الكريم لدى الناس ثم بيانها وتوضيحها، ومن أبرز تلك العلوم :التفسير ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول .... الخ من العلوم ذات التماس المباشر بالقرآن .

وإذا كانت جهود الباحثين والعلماء قد أتت على ما أتت عليه، لتكشف عن وجود الإعجاز في النص القرآني ، فقد تباينت الآراء في أسبابه ، واختلفت في وجوهه ، ولكنهم لم ينتهوا إلى غاية ، وبقي لكل من تصدى زادُ لا يلبث أن يصيب منه ، ويحسب أنّه أتى بما لم يسبقه إليه احد ، ثم ينظر بين يديه ، فإذا الذي تركه كأنّه لم يقرْبه ، ولا نظر فيه .

وفي هذا الجانب لنا أن نذكر فضل القدماء الذي كان له الأثر الواضح في فهم آيات القرآن الكريم، وإعجازه، وأسلوبه، فلنا أن نذكر على سبيل المثال ما قدمه كل من: الباقلاني في إعجاز القرآن ، والرماني في النكت، والخطابي في إعجاز القرآن، والجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فقد أتو على دراسة أسلوب القرآن دراسة وافية أعانت القارئ للنص القرآني على التأمل في هذا النص المحكم.

وفي العصر الحديث لا يزال القرآن الكريم يحتل المكانة نفسها لدى المسلمين ، لأنّه الكتاب الذي فيه دستور دينهم

والكتاب الوحيد الذي نجا من كل محاولات التحريف ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه والعناية به ، ومع تنوع العلوم في هذا العصر واتساع مجالات بحثها ولاسيما العلوم اللغوية وظهور اتجاهات كثيرة في تحليل النصوص نجد أنّ القرآن الكريم احتل مكانا بارزا بوصفه كتابا محكما يعين على فهم تلك النظريات التي كشفت عن جوانب جديدة من وجوه الإعجاز القرآني، ومن بين تلك المناهج التي ظهرت حديثاً المنهج الأسلوبي الذي يهتم بدراسة النص والكشف عن مواطن الجمال فيه ، وتأتي دراستنا هذه محاولة في دراسة أحد نصوص القرآن الكريم ، وهي سورة الانشقاق من خلال تطبيق هذا المنهج ، وإن لم يكن تطبيقا حرفيا ، في محاولة للكشف عن بعض جوانب إعجاز هذا النص المحكم الذي أخرس ألسن الفصحاء عن معارضته مع وجود الدافع في كل زمان ومكان ؛ مما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنّ هذا الكتاب منزل من عند الله العزيز العليم ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) .

وهذا الجانب الذي تناولته في هذا البحث ، لا يعدو أن يكون محاولة كغيرها في الدرس القرآني ونرجو أن تكون هذه المحاولة جديرة بالقرآن الكريم ، ولا ندعي لها أنّها قد

أحاطت بجوانب إعجاز هذه السورة لأنّ هذا ممـــا لا يدعيـــه بشر ، فإن وفقت فيها فبفضل من الله وتوفيقه ، وإن أخطـــأت فمن نفسي وحسبي أني اجتهدت ما وسعني ذلك .

أمّا خطة البحث فقد اقتضت أن تأتي في تمهيد وثلاثـــة مباحث يسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وبينت فيهـــا أهميـــة الموضـــوع والجهـــود المبذولة في سبر غور النص القرآني .

المبحث الأول :وهو المستوى الصوتي والدلالي وفيـــه عرضت لأهمية الصوت في دعم البنية الدلالية وحثها للإفهام وجاءت على أشكال صوتية متنوعة :أولها الفاصلة القرآنيـــة ،وثانيهما التكرار بنوعيه المقيد والحر، وثالثها النبر .

المبحث الثاني : هو(البنية اللغوية الدلالية) وجـــاء علـــى ثلاثة انساق هي:

١ – نسق الشرط .

٢ – نسق النداء .

٣ – نسق القسم .

وذلك لكون هذه الأنساق هي نقـــاط ارتكـــاز لســـورة الانشقاق وعليها تأتى الآيات معبرة فيها عن الظواهر الكونية التى تتعرض لها الإنسانية فى نهاية الزمان.

المبحث الثالث:و تناولت فيه خصيصة أسلوبية بـــدت واضحة وملّحة للدراسة وهي (تناظر البنـــى التركيبيـــة ودلالاتها في المشهد القرآني لسورة الانشقاق) لما تحويه من إشارات تؤكد مدى تماسك وتجانس البناء التركيبـــي للـــنص القرآني فهو مرتبط كل الارتباط بما قبله وما بعده ولا يمكـــن التجزئة أو الفصل إلا على سبيل الدراسة أو البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ "١" وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ "٢" وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ "٣" وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ "٤" وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ "٥" يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ "٦" فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ "٧" فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا "٨" وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا "٩" وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ "١٠" فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا "١١" وَيَصْلَى سَعِيرًا "١٢" إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا

"١٣" إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ "١٤" بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا "١٥" فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ "١٦" وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ "١٧" وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ "١٨" لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ "١٩" فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "٢٠" وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ "٢١" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ "٢٢" وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ "٢٣" فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "٢٤" إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ "٢٥"))

صدق الله العظيم

المبحث الأول :

المستوى الصوتي الدلالي :

يشكل الصوت أحد أنظمة اللغة المتشابكة المعقدة "١" . ويفترض ابتداء استقلال هذه الأنظمة ليسهل علينا تتبع عناصر البناء القرآني الذي يقوم على استعمال اللغة بطريقة خاصة ، تساعد على تمييز الظواهر الفنية في النصوص القرآنية وهذا لا يقل أهمية عن تحليلها وإدراك أبعادها الوظيفية حين يشترط التحليل من وجود التمييز ، إذ يستحيل تحليل ظاهرة لم يسبق لها أن مُيزت"٢" .

وتعد دراسة الصوت أولى المراحل في دراسة وفهم ماهية البناء النصي وفك شفرته ؛ لأنّ الصوت يشكل جوهر الكلمة ، وليست أية كلمة ، الكلمة التي تندرج في الصياغة الفنية خالقة دلالة لا تفيد الإبلاغ فقط ، بل تخلق شكلا تعبيرياً يعتمد الصوت بالدرجة الأساس ، نستدل عليه عبر مجموعة الفونيمات"٣" التي تربط بينها سلسلة من العلاقات المنتظمة ، وإنّ مجموعة الأنساق في البناء الصوتي تبدو اعتباطية في حين أنّها تنبع من أصالة المبدع ، ويفرض نظام اللغة استعمال هذه الأصوات في قوالب تقوم على الامتزاج الفعلي بينها مما يؤلف مقطعاً صوتياً أكبر من سابقه يدعى المونيم"٤" ، فاللغة تتألف من ألفاظ هي ((وحدات مادية تتكون من مواد صوتية وتتمثل في أحجام معينة ، وتصاغ في أبنية صرفية تجعل منها أدوات قابلة للجمع والترتيب))"٥" ، ويظهر استعمال (الأديب أو المنشىء) الخاص لهذه المادة الصوتية في ترديد وحداتها في السياق على مسافات متقايسة بالتناوب والتساوي لإحداث الانسجام ، وعلى مسافات غير متقايسة أحيانا لتجنب الرتابة وهو ما يدعى بالإيقاع"٦" ، وهذا الكلام ينطبق على الشعر والنثر معاً"٧" وقد عرّف بعض النقاد الإيقاع بأنّه ((النسيج الذي يتألف من التوقعات والاشباعات أو خيبة الظن أو المفاجآت التي يولدها سياق المقاطع))"٨" ، فتتابع

المقاطع على نحو خاص يهيئ الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره ، ويتكيف جهازنا في هذه اللحظة ، بحيث لا تقبل إلا مجموعة محددة من المنبهات الممكنة ، فبعد قراءة بيت أو بيتين من الشعر ، أو نصف جملة نثرية ليصبح الذهن ((مهيأ لعدد معين من التتابع الممكن ، وفي الوقت نفسه يضعف من قدرته على صنوف أخرى من التتابع)) "٩" ولهذا نرى أنّ الايقاع يعتمد على التوقع الذي عادة ما يكون لا شعورياً وربط إيقاع الشعر والنثر بهذا التوقع منتظر بفضل التهيؤ الذهني،ومجال التوقع يضعف في النثر الذي((تصاحبه حالة من التوقع أكثر غموضاً وأقل تحديداً مما هي في الشعر))"١٠" .

يتضح مما سبق انعدام التطابق بين الإيقاع والوزن الذي يؤدي إلى رفض الإيقاع في غير الشعر ، فالإيقاع ظاهرة أعم من الوزن ، وما الوزن إلا أحد الطرق التي تحقق الإيقاع وتظهر بشكل جلي منظم"١١" وهذا ما يراه الشكلانيون الروس ، فاستنتاجاتهم تقول إنّ الخطاب يمكن أن يبقى شعراً حتى مع عدم المحافظة على الوزن ، فالمبدأ الذي يؤديه الإيقاع هو الانسجام الذي يمكن أن يتحقق بطرق عديدة ليس الوزن إلا واحد منها"١٢" .

وهكذا فقد غدا الإيقاع شاملا فخرج من الشعر حصراً إلى النثر والفنون الأخرى ، فصار الحديث عن الإيقاع في الرواية والمسرحية ، وإيقاع اللوحة ، وإيقاع النثر الفني أمراً مسوغاً اليوم . فنحن الآن بصدد دراسة النص القرآني كونه يمتلك إيقاعاً يضفي الجلال والهيبة فالقرآن ليس شعراً ولا نثراً فالتنظير عن الوزن والإيقاع مما سبق ما هو إلا إعطاء القارئ فكرة وقدرة على فهم المستوى الصوتي في أي نص أدبي ومما قد يهيئ أذهاننا والقارئ للولوج إلى فهم أسرار النص القرآني ومعرفة بعض خفاياه وربما يمكن القول :إنّ الله عز وجل أعلم حيث يجعل رسالته، لذا كانت العربية اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لما تختص به من الموسيقى في أصواتها وصيغها ألفاظاً وعبارات"١٣" . إذن فنحن نتناول المستوى الصوتي للنص القرآني بعدِّه نظاماً يحمل من صفات الإيقاع الشيء الكثير لنكشف كيفية البناء فيه ودلالات تشكيله مما يؤلف مظهراً أسلوبياً يعد جانباً مهماً في خصيصة التكوين الإبداعي . ومن أبرز الوسائل الأسلوبية الصوتية البارزة في سورة الإنشقاق هي الفاصلة القرآنية، والتكرار بنوعيه المقيد والحر، والنبر

أولاً : **الفاصلة القرآنية** :

عرّفها الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) بقوله ((حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني)) "١٤" ، إذ يتوقع السامع مع توالي الآيات تكرير صوت أو أصوات عدة متشابهة . وقد أطلقوا على أواخر "آي" القرآن فواصل أخذاً من قوله تعالى ((كتاب فصلت آياته)) "١٥" وابتعاداً عن أن تسمى أسجاعا .

وتقع الفاصلة بين الخطاب والآخر لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ، لأنّه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أنّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها فى النسق التعبيرى وليس فى المضمون الخطابى.

ولم تأت الفواصل كما سوف نرى عبثاً أو لتتميم السجع ، بل جاءت لتؤدي معنى تتم به الفائدة ويطلبه السياق ، إذن الفاصلة القرآنية لها وظيفتان الأولى الوظيفة الرئيسة معنوية يحتّمها السياق ووظيفة أخرى لفظية تعبيرية تتصل بجمال الإيقاع ولا يجوز أن نقول إنّ الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآي الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي "١٦" والغرض المعنوي للقرآن هو المعنى الذي تؤديه الفاصلة قال علي الجندي : من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم

شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام ، وقوة تعطف الكلام عليها ، كأنّهما معاً جملة مفرغة يسري فيها روح واحد ونغم واحد ينحدر إلى الأسجاع انحداراً، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها لتتمم معناه ، حتى لتبلغ من وقوعها موقعها واطمئنانها في موضعها أنّها لو حذفت لاختل معنى الكلام واضطرب فهمه ، واستغلق بيانه ، ولو سُكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الملهم والذوق السليم"١٧"، ففي سورة الانشقاق نجد أنّ الفواصل جاءت على أربعة انساق هي :

١. من قوله تعالى : ((إذا السماء انشقت"١")) إلى قوله تعالى ((وأذنت لربها وحقت"٥")) .

٢. من قوله تعالى : ((يا أيها الإنسان"٦")) إلى قوله تعالى ((ربه كان به بصيرا"١٥"))

٣. من قوله تعالى : ((فلا أقسم بالشفق"١٦")) إلى قوله تعالى ((لتركبن طبقاً عن طبق"١٩")) .

٤. من قوله تعالى : ((فما لهم لا يؤمنون"٢٠")) إلى قوله تعالى ((لهم أجر غير ممنون"٢٥")) .

النسق الأول :

من قوله تعالى : ((إذا السماء انشقت "١" وأذنت لربها وحقت "٢" وإذا الأرض مدت "٣" وألقت ما فيها وتخلت "٤" وأذنت لربها وحقت "٥")) .

انشقت / ان – شق – قت / مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق .

حقت / حق – قت / مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق .

مدت / مد – دت / مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق .

تخلت / ت – خل – لت / مقطع قصير + مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق .

كذلك تكرار لفظة (حقت) مرة ثانية في النسق نفسه.

نحن نشعر خلال قراءتنا لهذه الآيات الخمس أن الفاصلة هي التي تعلق في الذهن دون باقي الألفاظ وربما يرجح ذلك إلى قوة صوت التاء والتزامه ؛ الفواصل الخمس وإصراره على الظهور ، أو بسبب انغلاق هذه الصورة وانكفاءها للداخل بدءاً من قوله تعالى ((انشقت)) وهو أمر مقضي تم وانتهى إلى قوله تعالى ((وحقت)) وهي النتيجة الطبيعية للإذعان والخضوع لأمر الله ، فالفاصلة الأولى دلّت

وعبّرت عن النهاية الحقيقية للكون من سماء وأرض ، لتأتي الفاصلة الأخيرة تؤيد ما سبق ذكره . وهذا يجعلنا نشعر بتضافر الفاصلة القرآنية مع دلالة السياق التي وردت فيه .

النسق الثاني:

٢. من قوله تعالى ((يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه "٦" فأمّا من أوتي كتابه بيمينه "٧" فسوف يحاسب حساباً يسيراً "٨" وينقلب إلى أهله مسرورا "٩" وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره "١٠" فسوف يدعو ثبورا "١١" ويصلى سعيرا "١٢" إنّه كان في أهله مسرورا "١٣" إنّه ظن أن لن يحور "١٤" بلى إنّ ربه كان به بصيرا "١٥")) .

يسيرا / يـ – سي – را / مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .

مسرورا / مس – رو – را / مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .

ثبورا / ث – بو – را / مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .

سعيرا / س – عي – را / مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .

مسرورا / مس – رو – را / مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .
يحور / ي – حو – ر / مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح .
بصيرا / ب – صي – را / مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح + مقطع طويل مفتوح.

فبناء هذه الفواصل جاء على وفق مقاطع متباينة في الطول والقصر ، وهذا الاختلاف يمثل صورة توضيحية لاختلاف أحوال الإنسان الشقي ، وصوره المتغيرة ، فمقطع (را) الذي انتهت به هذه الفواصل يدخلنا في دوامة الإلحاح عبر صوت الراء مع حالة الإطلاق غير المنتهية عبر صوت (الألف المطلق) وكأنّ هذه الفاصلة تحكي لنا حكاية هذا الإنسان الشقي وأحواله ، والتوسل والضياع الذي يلفه ، فهذه الفواصل ترتبط مع معنى الآية ، وتخضع لجوها والهدف النفسي لها ليكون الوقع أشد وابلغ"[١٨]" .

ويجب التنبيه إلى أنّه لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنّما يراد المعنى قبل ذلك ويلتقي الحرف بالمشابهة اللفظية مع المعنى ، وأحياناً لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها وهذا دليل على أنّ المقصود

بالدرجة الأولى هو المعنى ، ومثال ذلك ما ورد أمامنا من لفظة (لن يحور) فلو قال (لن يحورا) لتغيّر المعنى وفي هذا دلالة على ما ذهبنا إليه لذا اقتضى المعنى القرآني ورود لفظة (يحور) بدون ألف الإطلاق لتكون غير مطابقة إيقاعيا مع مثيلاتها الفواصل في الآية ولكنّها مكتملة دلالياً ومعبرة بدقة عن المعنى المراد .

النسق الثالث:

من قوله تعالى ((فلاأقسم بالشفق "١٦" والليل وما وسق "١٧" والقمر إذا اتسق "١٨" لتركبن طبقاً عن طبق "١٩")) .

الشفق / ال – ش – فق / مقطع طويل مغلق + مقطع قصير + مقطع طويل مغلق .

وسق / و – سق / مقطع قصير + مقطع طويل مغلق .

اتسق / ات – ت – سق / مقطع طويل مغلق + مقطع قصير + مقطع طويل مغلق .

طبق / ط – بق / مقطع قصير + مقطع طويل مغلق .

إنّ هذه الفواصل مغلقة النهايات بحرف (القاف) مكملة للمعنى ، وتعبر مع النسق الذي جاءت فيه عن الانغلاق الفكري الذي يعيشه الكفار ، وهذا ما تفسره الآية التي بعدها وهي تخاطب عقل الكافر الجاحد لنعم الله ، ويمكن القول: إنّ للحرف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً فهو إن لم يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإيحاء ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به"[١٩]" .

النسق الرابع:

من قوله تعالى ((فما لهم لا يؤمنون "٢٠" وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون "٢١" بل الذين كفروا يكذبون "٢٢" وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ

"٢٣" فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "٢٤" إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ "٢٥"))

نجد أنّ التشكيل المقطعي لهذه الفواصل كالآتي :

يؤمنون / يؤ – م – نون / مقطع طويل مغلق + مقطع قصير + مزيد ثلاثي .

يسجدون / يس – ج – دون / مقطع طويل مغلق + مقطع قصير + مزيد ثلاثي .

يكذبون / يـ – كذ – ذ – بون / مقطع قصير + مقطع طويل مغلق + مقطع قصير + مزيد ثلاثي .

يوعون / يو – عون / مقطع طويل مفتوح + مزيد ثلاثي .

أليم / أ – ليم / مقطع قصير + مزيد ثلاثي .

ممنون / مم – نون / مقطع طويل مغلق + مزيد ثلاثي .

إنّ الفاصلة القرآنية انحصرت بالأصوات الآتية (النون المتضافر مع الواو) وهذا التكرار للفاصلة عمل على تبئير لغة النص باتكائها على محورية واحدة وهي محورية التوازي الحاصل في الفاصلة ، فألفاظ (يؤمنون ،ويسجدون، ويكذبون، ويوعون، وممنون) ، قامت بتكثيف الانسجام والتوازي ليس لكونها ظاهرة موسيقية ينتهي الكلام عندها حسب ، لكن بما تحققه من تجاوبات صوتية إضافية ويبدو أنّ

انتهاء السورة بفواصل مغايرة عما جاء في بداية السورة كان بمثابة ايذان وتنبيه بالختام ، فالمتلقي يتنبه إلى التحولات الحاصلة في الفواصل ، التي تدلل أيضا على تحول الفكرة أو الموضوع ، فالفاصلة تؤدي وظيفة إثارة ذهن المتلقي لتبدل الفكرة وانتقالها ، فضلا عن تنبيهه إلى انتهاء السورة والانتقال إلى سورة جديدة .

ولو تفحصنا الفواصل في هذه السورة من حيث التراكمات الصوتية فيها وصفاتها لوجدنا ما يأتي :

	الفاصلة	همس	شدة	جهر	رخاوة
١	انشقت	١١	١١١١	١١١١	١١
	حقت	١١	١١١	١١	١
	مدت	١	١١١١	١١١	–
	تخلت	١١١	١١	١١	١١١
	حقت	١١	١١١	١١	١
٢	يسيرا	١	١	١١١١	١١١١
	مسرورا	١١	١١	١١١١	١١١١
	ثبورا	١١	١	١١	١١١
	سعيرا	١١	١	١١١	١١١١
	مسرورا	١١	١١	١١١١	١١١١
	يحور	١١	١	١١١	١١١١
	بصيرا	١١	١١	١١١	١١١
٣	الشفق	١١	١١	١١١	١١١
	وسق	١	١	١١	١١

	اتسق	١١	١١١	١١	١
	طبق	–	١١١	١١١	–
٤	يؤمنون	–	١١	١١١١١١١	١١١١١
	يسجدون	–	١١	١١١١١	١١١
	يكذبون	١	١	١١١١١	١١١١١
	يوعون	–	–	١١١١١	١١١١١
	ممنون	–	١١	١١١١١	١١١
		٢٩	٤٢	٧٣	٦٠

نلحظ من التقسيم السابق أنّ أصوات الهمس تكاد تنعدم في المجموعة الرابعة ، وربما يرجع ذلك إلى أنّ الخطاب القرآني في هذه الآية موجه إلى الكفار ، وبيان حال الأشقياء وأهوال يوم القيامة و بينما جاءت أصوات الجهر (المهيمنة في الآيات) بل في السورة بكاملها – إذ نجد أنّ أصوات الجهر تتصدر القائمة ويليها أصوات الرخاوة – مما يدل على أن الموقف العام للسورة يتطلب الشدة و الجهر للإفصاح عن حقيقة يوم القيامة ولتنبيه المتلقي على هذه الحقيقة جاء الأسلوب متدرجا في بداية الآية من (الشدة والجهر) منتقلا في نهاية الآية إلى (الجهر و الرخاوة) ، أي انتقل من الموقف شديد الحدة إلى موقف يستند على قوة مغلفة بطابع اللين والرخاوة ؛ وذلك لنهاية الآية الذي اتسم بحقيقة واقعة وهي أنّ الكفار لا يؤمنون بكل ما تعرض عليهم من حقائق ؛

لذلك فالنهاية أصبحت من المسلمات التي لا تدعو إلـــى قـــوة أكثر مما جاءت بها بداية الآية ، لذا انتقلت قوة الجهر و الشدة إلى الجهر والرخاوة .

إن تراصف الفاصلة قسمت السورة إلى وحدات إيقاعية منتظمة وبناءات لغوية متواترة مع الإشـــارة إلـــى أن هـــذا الانتظام يخضع لطول الآيات بين الفواصل ؛ إذ كلما كانـــت الآيات أقصر كان الصوت أكثر قرباً ووضوحاً وعكســـه إذا كانت الفقرات طويلة ، فهذا النوع من الفواصل حقق إيقاعـــاً واضحاً في السورة ، فالإيقاع بشكل عام يتحقق في الكـــلام بتقسيم العمل اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علامات متكررة وذات وظيفة وملمح جمالي ، ونلحظ انتقال الأسلوب القرآنـــي بيسر وتدرج من فقرة متوسطة إلى قصيرة مقاربة ، ولـــيس من فقرة طويلة إلى أخرى قصيرة ، أي ليس من تباين حـــاد في الإيقاع ، وليس من توقف مفاجئ بين فاصلتين متوازيتين مؤلفة من كلمتين مثلا إلى فاصلتين من خمس كلمات . كمـــا يمكن القول: إن طول الفقرات في عموم السورة جاء متناسباً مع بعضه ، وذهب ابن الأثير في معرض حديثه عن أنـــواع السجع إلى عدِّ هذا النوع من اشرف الأنواع ، وذلك للاعتدال الذي فيه"٢٠" وذلك لأجل التأثير في الملتقى فالفاصلة في حقيقة

الأمر ما هي إلا حالة صوتية ترمي إلى تكرار فوينمي ووزني في أواخر الآيات بغية ايصال الدلالة وخلق تواز إيقاعي يديم التواصل . وهي الطريقة الأكثر ملاءمة لتوصيل الرسالة الافهامية الترهيبية للملتقى وهو ما لاءم مناسبة الخطاب اللغوي في هذه السورة ، وهو موجه لعقول متعصبة فكرياً ودينياً مما يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذه – غير مسترسلة – وقول حاد حاسم محذر تقصر معهُ الجمل .

ثانياً : **التكرار:** بشكل عام للتكرار أهمية خاصة في صنع الأسلوب الأدبي ؛ إذ يشكل أحد مكوناته كما يقول كوندار بيرو ، فإنّ الأسلوب هو ((مجموعة التكرارات والمفارقات الخاصة بنص من النصوص))"٢١" ، وتأتي أهمية هذا القسم في الدراسة الصوتية للإيقاع من كونه يساعد على استغلال الطاقة الصوتية الإيقاعية الممكنة لخلق معنى دلالي ، أو وجه جمالي ، يشكل ميزة أسلوبية للنص الأدبي ، وإنّ للتكرار أيضا وظيفة مهمة تخدم النظام الداخلي للنص ، وتشارك فيه ؛لأنّ المبدع يستطيع بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة ، كما يستطيع أن يكشف الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى"٢٢" .

وللتكرار في النص القرآني أثر مهم ليس من السهل تغافله ؛ لأنّه يكون جزءاً من بناء النص على المستوى الذهني لدى المتلقي ، يطرف حواسه بالصوت ، ويحرك مخيلته للعمل من أجل إدراك المعنى الذي يسوقه النص القرآني بمفرداته اللغوية ، وإن من أهم آثار هذا التكرار على مستوى النص في عملية التلقي تكثيف المعنى وإشاعة جو انفعالي وهو بهذا يؤثر في المستوى الدلالي ، فضلاً عما له من تأثير في المستوى الصوتي ، فالتكرار ((يخلق جواً موسيقياً خاصاً يشيع دلالة معينة)) "٢٣"

والتكرار في القرآن الكريم وسيلة لتصوير المواقف والمشاهد صوتياً ، وبما يثيره هذا التكرار من تحفيز المخيلة وترقبها لنسج صور صوتية قمة في التأثير والايحاء ، كما يعد التكرار من أهم عوامل التماسك في النص القرآني "٢٤" .

وفي سورة الانشقاق نجد أنّ التكرار فيها على نوعين :

أ – تكرار مقيد : وهو يقوم على التجنيس وتكرار ألفاظ بعينها .

ب – تكرار حر : وهو التكرار الصوتي لأصوات مجتمعة أو متفرقة في نسق الكلام .

أ - التكرار المقيد :

جاء هذا النمط من التكرار في سورة الانشقاق في قوله تعالى : (وأذنت لربها و حقت) ، إذ تكررت مرتين في النسق نفسه ، مما يدل على حالة الإذعان والخضوع لله الواحد ، جاءت لإذعان السماء أولا ، ولاذعان الأرض ثانياً ، فكأن السماء مستقلة بعالم له قوانينه الخاصة ، والأرض كذلك ، فبعد هذه الصورة المستقلة لكل من السماء والأرض تأتي جملة (وأذنت لربها وحقت) لتجعل السماء والأرض بعظمتهما تخضعان وتذعنان لإرادة الله سبحانه وتعالى وحده ، أي أنّ الله تعالى أظهر الأرض والسماء بهذه الاستقلالية حتى يكون المشهد اقوي وأكثر تسليماً إلى أمر الله بعد مجيء أمره بقيام الساعة.

وورد هذا النوع من التكرار في قولة تعالى ((إنّك كادح إلى ربك كدحا)) ، إذ إنّ الجناس الاشتقاقي بارز في (كادح – كدحا) لتعميق شعور التعب والإرهاق الذي يعتري الإنسان في مسيرته الشاقة على هذه الأرض إلى أن يلاقي الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة ليوافيه اجر ما عمل .

وفي قوله أيضا (يحاسب – حسابا) أيضا جناس اشتقاقي قصد به تعظيم موقف الحساب .

ويمكن أن نوضح مسالة الجناس بتقسيمها إلى بنية سطحية (صوتية – متماثلة) وبنية عميقة (دلالية غير متماثلة) ، فالمتلقي يؤدي أثرًا بالغ الأهمية في إنتاج الدلالة التجانسية ، وذلك من خلال استحضار حاسة التوقع الذي يفضي إلى التماثل السطحي مع العميق ، وهنا يخالف الناتج المتوقع إذ يقود التماثل الصوتي في البنية السطحية إلى التخالف على مستوى البنية العميقة (الدلالة) للنص ، وبهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية التي تؤكد شعرية الصياغة"[٢٥]".

ونجد جملة ((فأمّا من أوتي كتابه)) مكررة مرتين ، مرة لبيان حال المؤمنين ومرة لبيان حال الكافرين ، وفي كلا الحالين جاءت هذه الجملة تفصيلية للأحداث استدعى الموقف العام تكرارها في السياق مع الإشارة إلى أن هذه الجملة قد أخذت طابعًا دلاليًا مغايرًا في السياقين السابقين ففي السياق الأول كانت ضمن مشهد الصالحين جاءت لتعبر عن إتيان الكتاب باليمين دلالة على الصلاح والخير وقد بدأت هذه الجملة بحرف (الفاء) الذي تضافر مع (أمّا) لينبه المتلقي لتفصيلات أخرى منتظرة فهي تفصّل وتؤذن بمجيء

جملة أخرى بعدها في سياق جديد يحمل مشهد الظالمين لأنفسهم ويبدأ بحرف (الواو المتضافر مع أمّا) لتخبر عن نهاية الظالمين ونهاية حكاية الإنسان ، المؤمن والكافر ضمن مسيرة الحياه والموت .

تكررت جملة ((أهله مسرورا)) مع اختلاف السياق الذي وردت فيه ، فالمرة الأولى وردت هذه الجملة لتبين حال المؤمنين وفرحهم بالنجاة والفوز برضى الله سبحانه وتعالى عنهم ، الذي جعل مثواهم الجنة ، أمّا المرة الثانية التي وردت فيها هذه الجملة فقد وردت في سياق استذكار أعمال الكافرين في هذه الدنيا ، بعد أن يذيقهم الله سبحانه وتعالى وبال أمرهم ، ويجازيهم بما كانوا يعملون ، فتحول أسلوب الجملة إلى نوع من السخرية من خلال علاقة التضاد بين الموقفين ، أو اللحظتين موقف الإنسان المؤمن الذي ينقلب إلى أهله مسرورا فرحا بالفوز و النجاة ، وبين موقف الإنسان الكافر الذي يدعو بالويل والثبور لأنّه كان في هذه الحياة الدنيا مسرورا ، ولكنه ليس السرور المتحقق من حالة الإيمان بل سرور الإنسان الذي كان لا يؤمن بهذا اليوم وما سيلقى فيه من مصير جزاء ما كان يقترف من ذنوب .

وتكررت لفظة (طبق) في قوله تعالى ((لتركبن طبقا عن طبق)) ، لتبين حال الإنسان وما يلاقية من شدة وأهوال ومحن في طريق مسيرته إلى ملاقاة الله سبحانه وتعالى"٢٦" الذي ورد في قوله تعالى (يا أيها الإنسان إنّك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) ، فجاء التكرار للمطابقة والتثبت ، فالقيمة الدلالية والصوتية تظهر بجلاء حيث تحمل معنى التهديد والوعيد الذي ينتظر الكفار .

ب-التكرار الحر:

يعتمد هذا التكرار على تجمع أصوات بعينها في نص قرآني محدد وبشكل لافت للنظر فتفصح عن المعنى العام وتتآزر لبيان ذلك المعنى وإحداث التأثير والإفهام .

وتأتي هذه الأصوات بقصدية كاملة وبكل طواعية لتتآزر مع بعضها في انسجام تام مجسدة لأسلوب النظم القرآني ، فتكرار الأصوات في القرآن الكريم وسيلة يعتمدها النص القرآني للتعبير عن معانية وإغراضه .

ويبرز في الآيات (١ – ٥) تأثير واضح لصوتي القاف الذي تكرر (٧ مرات) ، وصوت التاء الذي تكرر (٨ مرات) ، فهذان الصوتان يحملان من القوة والشدة ويرتبطان بالمعنى الكلي للسورة ، فمعنى السورة الكلي يقوم

على التنبيه والإيقاظ والصعق المستمر لأولئك الغافلين فالدلالة هنا جزء من صميم البنية الصوتية والتركيبية ، لا تنفصل عنها إلا لضرورة الدراسة النظرية المجردة ، فكل ضروب التصرف في التنظيم والتأليف تمارس فاعليتها مباشرة على الدلالة وما يقترن بها من إبعاد الأثر والاستجابة"[٢٧]"، من هذا ندرك أنّ الأصوات في النص القرآني تحكي الدلالة كما تحقق توازناً بين الفواصل وبين الأصوات المتكررة فتتضافر محققة ملامح وصفات النص العام .

كما ظهرت الملامح الصوتية البارزة في النسق القرآني في قوله تعالى ((يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)) فنجد تكرار صوت (الكاف أربع مرات) وصوت الحاء (مرتين) ، إذ على الرغم من قلته فانّ له وضوحا وتأثيرا كبيرا في بيان المعنى ، فهذه الأصوات المتكررة عبرت بوضوح عن حكاية حال الإنسان على هذه الأرض وهو يجهد ويتعب في الوصول إلى مصيره المحتم الذي عبرت عنه الآية الكريمة بملاقاة الله سبحانه وتعالى .

ونجد في قوله تعالى ((فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ٨" وينقلب إلى أهله مسرورا " ٩ ")) إذ تكرر صوت السين (٥ مرات)

فطبع هذا المشهد بطابع صفيري عال غايته جذب الأسماع إلى ما سيلاقيه الإنسان المؤمن من ارتياح في ظل النعيم الذي سينعم به في الجنة ، وهذه الأصوات الصفيرية تحكي حالة الإنسان المبتهج السعيد .

ولا ننسى ما لتضافر أصوات الفواصل مع أصوات الآيات من القيمة الصوتية الفاصلة وتشد من أزر الدلالة وتقويها .

وفي قوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩))) ، فقد هيمن صوت القاف وتكرر (٧ مرات) والسين (٤ مرات) ، وفي قوله أيضا ((وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)) فتكرر صوت القاف (مرتين) والراء كذلك .

وحين النظر للأصوات نجد أن صوت القاف هو المهيمن الواضح على مستوى نسق السورة ، وكأنها حالة تضافر أسلوبي بين عنوان السورة (الانشقاق) والأصوات المكونة للسورة ، فالعنوان قد مهد تدريجيا للدخول لمشاهد القيامة عبر الصوتيات المكثفة في تحقيق المعنى الدلالي المراد .

وهي إشارة لمشهد من مشاهد يوم القيامة فنحن تنبهنا إلى أن موضوع السورة هو يوم القيامة وحال الكافرين والمؤمنين ومآلهم ثم جاءت الآيات لتحكي حكاية العنوان فالذي لا يعرف فهم وقراءة اللغة العربية يتنبه إلى تكرار صوتي شديد لصوت القاف الذي تكرر (١٩ مرة) مع العنوان وهو أعلى حد يمكن أن يقاس بالمقارنة مع باقي الأصوات وهذا ما عمل على خلق تناسب دلالي صوتي هيأ أذهان المتلقي ومهدها للدخول بتفصيلات الأحداث .

ثالثا : **النبر** :

لقد عرّف الدكتور إبراهيم أنيس النبر بقوله : ((النبر نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد ، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط))[٢٨] .

وللنبر وظيفة مهمة في جميع اللغات ، إذ لا يخلو منه لغة ، فكل متحدث بلغة ما ، يضغط على بعض المقاطع منها ، وإنما الاختلاف بينها في استخدامه فوينما صوتياً يغير الصيغ أو المعاني أو عدم تأثيره فيها .

نجد لهذا النبر على حرف (القاف) تأثيراً دلالياً يفيد الإحساس بالإذعان والخضوع والانصياع للهِ وبذلك يكون للنبر وظيفة معنوية مهمة لا تتحقق إلا بوساطته .

والنبر هو الوقف على الهمز والتضعيف والمقطع المزيد وفي سورة الانشقاق نجد النبر يتركز في قوله تعالى ((إذا السماء انشقت)) فلو حذفنا همزة السماء لأصبحت هذه اللفظة ضعيفة بعيدة عن القوة ، فالهمز في هذه اللفظة يجعلها حاملة لدلالة أقوى وأعمق بما يتلاءم وجو الحدث وقوته وهو انشقاق السماء . ونلحظ النبر أيضا في قوله ((أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وأذنت لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥))) .

فالنبر نجده في (ربها ، حقت ، مدت ، تخلت) ، نلاحظ النبر على لفظة / رب – بها / النبر يكون على المقطع الأول لأنّه ساكن ، لأنّ السكون هو أقوى الحركات وأوضحها ، وكذلك / حق – قت /

/ مد – دت / فالمقطع الأول الساكن هو موضع النبر

/ ت ــ خل ــ لت /

نجد أنّ النبر في هذه الألفاظ حمل دلالة مضافة إلى الدلالة الرئيسة للفظة ، فهي تكثف المعنى وتقوية ونجد لهذا

النبر على حرف (القاف) تأثيراً دلالياً يفيد بالإحساس بالإذعان والخضوع والانصياع للهِ وبذلك يكون للنبر وظيفة معنوية مهمة لا تتحقق إلا بوساطته . ونجد النبر في الألفاظ الآتية وهي :

انّك / إن – نك /

ربّك / رب – بك /

إمّا / أم ــ ما / النبر يكون على المقطع الأول

ظنّ / ظن – ن /

ربّه / رب ــ به /

يؤمنون / يؤ – م – نون /

يسجدون / يس – ج – دون /

يكذبون / ي – كذ – ذ – بون / النبر يكون على المقطع الأخير

يوعون / يو – عون /

ممنون / مم ، نون /

فللنبر أثر كبير في التوازن الصوتي للآذان والتوازن من لوازم الترتيل، و إنّ التوظيف الحقيقي للنبر يتضح عبر القراءة الجهرية أو المرُسَّلة فلو استنطقنا الكلمات المنبورة

لأحسسنا بقيمة هذا النشاط الإضـــافي كـــأن الله تعـــالى أراد إيضاح قوة لفظ دون آخر في سير الكلام القرآني مبدوءة بـــ (انشقت) فالضغط الصوتي على المقطع الأول (انشقـــ / قت) جلب الأذهان وأوقف الصورة إلى انشقاق السماء المنبـــورة بدورها أيضا مِما حمّل الصورة الصوتية طاقة إيحائية إضافية ، يليها جملة (ربَّها وحُقَّت) مع التركيز على المقطـــع الأول أيضا ومستمرة إلى نهاية الجملة نفسها التي خُتمت بها الآيـــة المتعلقة بالأرض طبيعة الخطاب القرآني احتاجـــت إلـــى أن يكون الكلام الموجه في بداية السورة متضـــمنًا نبـــرة عاليـــة وشديدة تنبه الأذهان الغافلة لينتقل الخطاب بعدها إلى صوتيات منبورة متناثرة هنا وهناك مما باعد التركيز الصوتي وظهوره .

نجد في الجزء الأخير من السورة جملًا صوتية منبورة تكاد تكون إعلانًا واضحًا وضربات تنبيهية لنهاية الســـورة . وتتنبه إلى النظام التركيبي للسورة فالألفاظ المنبورة في بداية السورة يتركز فيها النبر بالمقطع الأول (حق – قت) (مـــد – دت) (ت – خل – لت) وكذلك المجموعة الثانية (انّـــك – إن – نك) (ربك – رب – بك) (أمّا – أم – ما) (ظنّ / ظن – ن) (ربّه / رب – به) أمّا المجموعة الأخيرة في

نهاية السورة فكان النبر يتركز على الجزء الأخير (يؤمنـــون ، يسجدون) .

وربما يكون هذا النظام البنائي للنبر قد جاء متفقاً مـــع الدلالة السياقية للسورة وتحولات الخطـــاب بـــين المـــؤمن والكافر من بداية السورة إلى نصفها تقريباً فاستدعت جملًـــا منبورة في جزئها الأول ليكون التأثير أخف قليلاً مما ســـوف يكون عليه في نهاية السورة وتحول الخطاب الـــى الكفـــار ، نجد التركيز في النبر على الجزء الأخيـــر فقـــط مـــا عـــدا لفظة (ممنون) لأنّها جاءت في سياق المؤمنين واســـتثنائهم من الكفار إلا إن قوة النبر بدت أقوى إيحاءً وتـــأثيراً لأنّهـــا ختمت السورة .

المبحث الثاني

البنية اللغوية الدلالية :

تعد البنية اللغوية من أهم المقومات التي يســـتند إليهـــا النص القرآني في بناء أسلوبه الخاص ، وتحقيق جماليته ، إذ يتضافر البناء اللغوي مع غيره من المقومات في بناء الـــنص القرآني ليشكل نسيجاً متماسكاً ، وبناء تعبيرياً متكاملاً يصعب

الفصل بين أجزائه أو تقسيمه ، ولكن التقسيم الذي اعتمدناه فرضته طبيعة المنهج المتبع ، فضلا عن الغايات الدراسية ، ولمعرفة سر هذا البناء للقرآن الكريم ، واكتشاف ديمومته ، حاولنا الفصل المؤقت بين انساق هذه البنية المكتنزة للوصول تدريجيا إلى الأسباب التي منحت النص القرآني تميزه .

ويمكن تقسيم سورة الانشقاق – موضوع البحث – على ثلاثة أنساق لغوية هي :

١.نسق الشرط

٢.نسق النداء

٣.نسق القسم .

وذلك لكون هذه الأنساق تمثل نقاط ارتكاز لسورة الانشقاق ، وعليها تقوم الأحداث .

النسق الأول : بناء جملة الشرط

يقوم البناء الشرطي في اللغة العربية على :

أداة الشرط + فعل الشرط + جواب الشرط

فافتتاح الجملة بأداة الشرط مدعاة لجذب الأسماع شوقا لجواب ذلك الشرط ، ولاسيما إذا كانت جملة الشرط تحمل في طياتها دلالات خطيرة ، حينها تتشوق النفس لمعرفة

الجواب ، فلو أمعنا النظر في الشرط داخل سياق سورة الانشقاق في قوله تعالى :
((إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)) ((وَإِذَا الْأَرْضُ مُدت)) .

لوجدنا أنها تحقق دلالات جديدة دفعت بالإيقاع للاختلاف والتنوع ، وجعلت النسق الذي جاءت فيه متصلا مع الأنساق الأخرى ، فضلا عن الوظيفة الاحتجاجية الواضحة لعرض الأمثلة وتقصيها بالبرهنة والإقناع مع استيفاء الأحداث ، وتجزئة واضحة للمشهد القرآني مع كونها تفيد المباغتة ، فلو حذفنا الأداة من هذه السورة لأصبح الكلام في مستوى إبلاغي غير مستوف للدلالات التي سبق ذكرها ، بل نجده يفقد الإثارة و التشويق لاستقبال الحدث ، كما نجد في هذه الآيات الكريمة أنّ فعل الشرط قد حذف ، ودخلت أداة الشرط على الاسم مباشرة مما قرب الحدث وزاد من تأثيره في المتلقي ، أي أنّ الأمر حدث فجأة ، وهذا ما يتناسب وإخفاء الله سبحانه وتعالى لأمر يوم القيامة الذي وصفه مرات عديدة لما سيقع مرة واحدة ، فأمر حدوث الساعة أمر خاص بالله ؛ ولذلك نلحظ أن تأثير هذا الأمر انعكس على البنية اللغوية ذاتها فحذف الفعل الأول في كل من الآيتين وأصل بناء الجملة في النحو العربي : ((إذا انشقت السماء انشقت)) ، و

((وَإِذَا مدت الْأَرْضُ مدت)) وأصبحت بشكلها النهائي في السورة ، فعمقت الشعور بتكثيف الحدث وتركيزه على ركيزتين أساسيتين هما ثنائية (السماء والأرض) ، وهي مجمل لما يحيط بالإنسان من عوالم منظورة له .

فالسماء التي وردت في سورة الانشقاق قد تم التنبيه لها مسبقا في آيات متقدمة من الذكر الحكيم أولها قوله تعالى ((ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)) "٢٩" ، بالتدرج نصل إلى قوله تعالى ((وانشقت السماء فهي يومئذ واهية)) "٣٠" ، وأيضا قوله تعالى ((إذا السماء كشطت)) "٣١" وقوله ((إذا السماء انفطرت)) "٣٢" إلى وصولنا لسورة الانشقاق وقوله تعالى ((إذا السماء انشقت)) ، أن هذا التردد الدلالي لحدث واحد ، جاء بطريقة تناسقية نفسية مهدت وفصلت انشقاق السماء بشكلها الأخير في سورة الاشتقاق ، وكأنما سُرِد لنا المشهد الواحد بطريقة متدرجة بحسب التقدير الإلهي ، وبما يلائم المقام التي ذكرت فيه ، فعند وصولنا لسورة الانشقاق أصبح لدينا تصور ورؤية خاصة بالسماء مما نكون على قناعة من حقيقة حدوث الانقلابات المعلقة بالسماء .

هذه الآيات بمجملها تشكل مشهدا رهيبا لتصوير انشقاق السماء ، ذلك أنّها حين تمور وتضطرب تتصدع جوانبها ، وتنشق ، فضلًا عن التلقائية التي تظهر في استجابة الكون كله لأمر الله تعالى ، وهي التي نجدها في فطر النبات عند أول طلوعه وشقه الأرض ، على وفق النظام الذي وصفه الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما نرصده في الآيات الكريمة التي أسندت الفطر والشق إلى السماء ، مباشرة من دون إسنادها إلى محدث الفطر أو الشق ، وهو الله سبحانه وتعالى لأجل توجيه الذهن إلى أن الظواهر التي تحدث يوم القيامة مسخرة لهذه الأحداث مهيأة لها"٣٣" ، وفي الطرف الثاني من الثنائية كانت الأرض التي جاءت بهذه السورة عالماً مستقلاً عن السماء على الرغم من أنّ المرجعيات القرآنية كانت تؤكد أنّهما كانتا شيئا واحدا ، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى ((إنّ السموات والأرض كانتا رتقا))"٣٤" مما أعطى زخماً دلالياً كبيراً لسورة الانشقاق عبر الفصل بين السماء والأرض ، الذي يزيد هذا الفصل قوة هو تكرار عبارة : ((وأذنت لربها وحقت)) لكل من السماء والأرض ، أي أنّ السماء لها مدارها المستقل في الإذعان والخضوع والأرض كذلك ، فدفع هذا بدلالة الحدث إلى التسليم المطلق ، والإذعان إلى إرادة الله سبحانه وتعالى عندما تقوم الساعة .

ونرصد دخول بنية لغوية معطوفة على جملة الشـــرط ((إذا الأرض مدت)) ، وهي جملة (ألقت ما فيها وتخلت)) ، لتمهد بانتقال الخطاب إلى الإنسان الذي هو الغاية والأساس الذي بعث الأنبياء لهدايته ، ونزلت الكتب السماوية لإرشـــاده إلى الطريق السوي ، هذا الانتقال هيأ الخطاب إلـــى إبـــراز عنصر الدهشة و الفزع الذي يصيب الإنسان أثنـــاء حـــدوث الساعة ، فالإنسان بعد خروجه من القبر ((وألقت مـــا فيهـــا وتخلت)) لا يزال يختزن في وعيه طبيعـــة العـــيش علـــى الأرض ؛ لذلك يصاب بالدهشة لمجمل التغيرات التي تطـــرأ على الكون ، بطرفية السماء و الأرض ، فالسماء انشـــقت ، والأرض مدت ، وهو أمر يخالف ما كان يألفه فـــي حياتـــه السابقة ، وهذا التغير هو ما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله ((يوم تبدل الأرض غير الأرض و الســـماوات وبـــرزوا لله الواحد القهار)) "٣٥" .

كما أوحت البنية الشرطية من خلال علاقاتها بالأفعال المبنية للمجهول أنّ انشقاق السماء ومد الأرض يحدث بفعـــل قوى خارجة لا طاقة لهما على عدم امتثال الفعل .

أمّا جواب هذه الجمل الشرطية فيمكننا أن نقــول إنــه ((حذف وذلك ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم فــي مثلها من سورتي التكوير والانفطار ، وقيل جوابهــا مــا دل عليه فملاقيه ، أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحــه)) "٣٦" وسوف نتبنى الرأي الذي يقول إن جواب الشرط متعلــق في قوله (فملاقيه) لأنّها أقرب للمعنى و الصواب .

النسق الثاني : **النداء** :

حقيقة النداء طلب إقبال المدعو علــى الــداعي بأحــد الحروف المخصوصة "٣٧". أو هو مد الصوت لتنبيه المنــادى وحمله على الالتفات"٣٨" . كما إنــه يتــرجم تحفيــز البــاث لإحداث شيء باتجاه الإشارة ، لفعل يتحرك في أعماقه يدفعه إلى تمثيله في الخارج ، وتكاد تكون صيغة النــداء مزدوجــة الوضع إن هناك حروفاً تدل على طلب الإقبال ، وفي الوقــت نفسه يكون هذا الطلب ناتجاً عن تحمل الحروف لمعنى الفعل أدعو . أي أنها تتحول في البنية العميقة إلى فعل يــدل علــى الطلب . ويمكن تسميه بمحور الإجمال والتفصيل ، كما أنــه يمثل جواب الشرط المتعلق بالنسق الأول .

ونجد في هذا النسق أن حرف النداء يتصدر الآيات في خطاب واضح مباشر إلى الإنسان ((يا أيها الإنسان انك كادح

إلى ربك كدحا فملاقيه)) ، وهذه الآية اختصرت مجمل سعي الإنسان في الحياة الدنيا إلى اللحظة التي يصل فيها إلى ملاقاة الله تعالى يوم الحساب ، الذي ذكرت الآيات السابقة علامات حدوثه في السماء والأرض ، وبعد هذا الإجمال لحال الإنسان يأتي التفصيل في الآيات اللاحقة التي تبرز فيها علاقة ثنائية تمثل موقف الإنسان إزاء الإيمان بين مؤمن وكافر ، معبر عن ذلك من خلال استعمال أداة التفصيل (أمل) للتوسع في سرد الأحداث ، ففي قوله تعالى ((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩))) فهذه الآيات تتحدث عن الإنسان المؤمن الذي يؤتي كتابه بيمينه كناية عن الأعمال الصالحة ، فالله تعالى يكتفي من الكلام بما يحقق الغاية ، لأن كتاب أعمال المؤمن ينوب عنه في الحديث ، وقد حشر مع جملة المتقين في جنات النعيم ، وقد ذكر الله تعالى لفظة (يمينه) دلالة على البركة والقوة ، لانّ الغالب على اليد اليمنى دلالتها على البركة و الخير ، كما أن اليمين عند العرب من دلائل الفرح ، فمن يؤتى كتابه يوم القيامة على هذه الشاكلة فسوف يفوز فوزا عظيما ، وها هو ذا بعد أن يحاسب حسابا يسيرا ينقلب إلى أهله فرحا مستبشرا بما

أعد الله له من اجر عظيم في جنات عرضها السموات والأرض .

ننتقل بعدها إلى صورة الإنسان الكافر الذي يمثل الطرف الآخر من الثنائية معبراً عنه بقوله تعالى : ((وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥))) .

فقد وردت في هذه الآيات تفصيلات عدة لم نجدها في القسم الأول وهي تخص الإنسان الكافر تقوم على أساس السبب والنتيجة ، وهذا الأسلوب نابع من طبيعة ما سيلاقيه الكافر من عقاب .

وانقسمت حركة الأفعال في هذا الموضوع على قسمين ، الأول الأفعال في زمن الحساب (يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا)) وهي أفعال مضارعة تدل على لحظة الحاضر الذي هو فيها ، تنتقل بعدها حركة الأفعال بصورة ارتدادية تعلل نتيجة حدوث فعل العقاب من خلال استعمال صيغة الفعل الماضي (انه كان في أهله مسرورا ، إنّه ظن أن لن يحور)

لتأتي بعد ذلك جملة الإضراب التي تنفي ذلك الظن وتؤكد حقيقة أخرى هي اطلاع الله سبحانه وتعالى على خفايا الأمور.

كما نلحظ أن جملة (وراء ظهره) والتي تقابل (شماله) في سور عديدة . عبرت عن مدى الخزي الكبير الذي يلحق بصاحب هذا الكتاب فيسلم كتابه من خلفه حتى لا يرى وجهه تحقيرا ونفورا ، ومن هذا يمكن أن نرى أن التفصيل الواسع الذي كان مع الكافر يتلاءم مع الملابسات والاضطرابات التي يعيشها هذا الإنسان ، ولكي يأخذ الجميع العظة والعبرة من هذه السورة المكية التي من أهم أهدافها إرساء قواعد العقيدة عبر عرض هذين الموقفين فإنّها ترغب المؤمنين وتزيدهم إيمانا على إيمانهم لما سيلاقونه من جزاء كما أنها ترهب الكافرين من خلال عرض ما سيلاقونه من أهوال علهم يرتدعون عما هم فيه من غي فيتوبوا إلى الله خالقهم ويؤمنوا بما انزل .

النسق الثالث : **القسم** :

نجد أنّ القسم يتركز في قوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧))) إنّ قوله تعالى ((فلا أقسم)) أريد به القسم أي (اقسم بالشفق) وهو قسم غير مباشر ، ولا

هو نفي للقسم أو نفي لغيره ؛ بل هو تلويح بالقسم ، وعدوله عنه لعدم الحاجة إليه "[٣٩]". هنا نلحظ مناسبة الأمور المقسم بها للمقسم عليه لأنّ الشفق والليل والقمر تخالط أحوالا بين الظلمة وظهور النور معها ، أو في خلالها ، وذلك مناسب لها في قوله : ((لتركبن طبق عن طبق)) من تفاوت الأحوال التي يتخبط منها الناس يوم القيامة أو في حياتهم الدنيا ولعل ذكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا لأن غروب الشمس مثل حالة الموت ، وإن ذكر الليل إيماء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين"[٤٠]".

والشفق هو اسم للحمرة التي تظهر في أفق مغرب الشمس ، أمّا قوله (ماوسق) والوسق جمع الأشياء بعضها إلى بعض فيجوز أن يكون المعنى وما جمع مما كان منتشراً في النهار من ناس وحيوان فإنها تأوي في الليل إلى مآويها"[٤١]" .

وذلك من بديع التكوين لذلك اقسم به قسماً أدمجت فيه منّة وما وسقه الليل : النجوم ، لأنّها تظهر في الليل . واتساق القمر : اجتماع ضيائه وهو من الجمع وذلك في ليلة البدر ، وتقييد القسم به بتلك الحالة لأنّها مظهر نعمة الله على الناس بضيائة أمّا عن جملة ((لتركبن طبقاً عن طبق)) نسج نظمها

نسجاً مجملاً لتوفير المعاني التي تذهب إليها إفهام السامعين ، فجاءت على أبدع ما ينسج عليه الكلام الذي يُرسل إرسال الأمثال من الكلام الجامع البديع النسج الوافر المعنى ولذلك كثرت تأويلات المفسرين لها منها لتركُبنَّ – أيها الناس – أطواراً متعددة وأحوالا متباينة : من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث و النشور"٤٢" .

نجد أن القسم يتركز في قوله تعالى ((فلاأقسم بالشفق "١٦" والليل وما وسق "١٧" والقمر إذا اتسق "١٨" لتركبن طبقا عن طبق "١٩")) فيؤدي القسم إلى غرض الإقناع وله مزية التشويق واستجلاب الأسماع ، كما أن تضافره مع أسلوب الشرط السابق ذكره يؤدي إلى التخصيص ، وبخاصة في الزمن ، والاتساع في رسم الأحداث والصور مع التنبيه إلى أن جملة القسم أقوى من جملة الشرط في دلالتها ، بل إن القسم يمتص وظائف الشرط بخاصة في الاستقصاء والاحتجاج . جعل الله القسم بيانا لمن يعقل ويفكر ، وأكثر صيغ القسم في القرآن الكريم استدلالاً ، فقد استدل سبحانه بالسماء والشمس والقمر ، والليل والشفق ، والضحى ، وغيرها ، فنبه بعد القسم على أن الأشياء المقسم بها دلائل لمن يعقل ، وأنها قسم عظيم في تقدير من يفكر ، فصرح بعظمة القسم لا بعظمة المقسم به ،

لأنّ للمقسم به دلالات عظيمة ، فضلا عن الاستدلال الذي أظهره القسم ، ففيه تنبيه إلى الأنام إلى ما في خلقه من جميل الصنع وبديع الأحكام. فعندما يقسم الله في هذه الآيات فانه يقسم بما هو محسوس على ما هو غيبي ، فهو يقسم بالشفق والليل والقمر ، على قضية غيبية هي يوم الحساب ، هذا الأسلوب يعزز القضية ويجعلها أكثر قوة ورهبة في النفس. كما أنه يقسم بقضايا جزئية بعد أن كان في بداية الشرط يتناول قضايا عمومية كلية ، ليأتي جواب القسم متعلقا بالإنسان كما في قوله تعالى ((لتركبن طبقا عن طبق)) ، وهذا الخطاب يتصل بخطاب الإنسان في المحور السابق ، هذا الترابط بين مختلف محاور السورة عمل على رسم صورة متكاملة لأهوال يوم القيامة ، وما يلاقيه الإنسان من شدة الحساب وما يترتب على ذلك من نتائج بأسلوب مترابط الوشائج ، فتعالق الشرط مع القسم ، كما نلحظ ترابطا آخر عبر الجواب من خلال وحدة المخاطب في كلا الجوابين الذي يمثله (الإنسان) ، ولكن كلًا من الجوابين يتعلق بمرحلة من مراحل حياته، فجواب الشرط تناول الإنسان بعد قيام الساعة ، لأن الشرط يرتبط بالمستقبل في دلالته ، أما القسم فنلحظ انه يرتبط بأحداث الإنسان الحاضرة أي في الحياة الدنيا فالقسم نقل الخطاب من الغيب (المتمثل بأحداث يوم القيامة وأهوالها)

إلى الحاضر (أي الإنسان على هذه الأرض) شارحا أحوال الإنسان مركزا فيها على خطاب الإنسان الكافر وأسباب عدم إيمانه .

وهذا المخطط يبين لنا التعالق الدلالي في أنساق سورة الانشقاق ، وكيف يحيل بعضها على بعض :

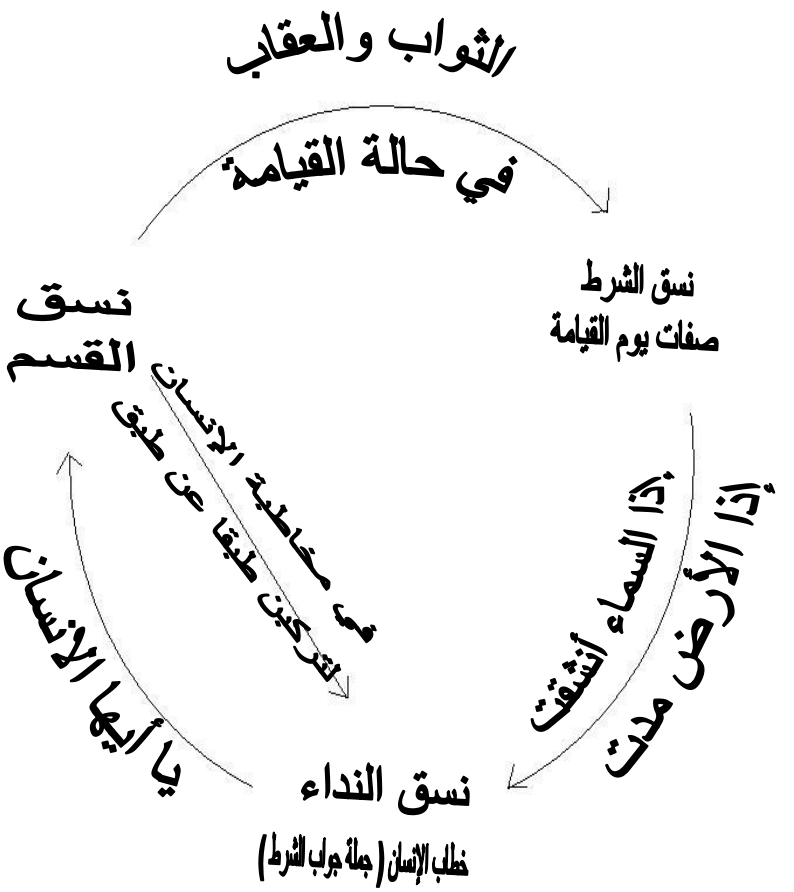

كما نجد في بناء هذا النص القرآني خصيصة أسلوبية أخرى تتعلق بالزمن ، فنجد أن السورة تبدأ بمشاهد القيامة ، وموقف الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى في يوم الحساب وعرض لهذه المشاهد ، ثم تتحول البنية نحو خطاب الإنسان في الدنيا بفعل حركة ارتدادية تتمثل بوصف حال الإنسان الكافر في الدنيا ويستمر هذا الخطاب الموجه إلى الإنسان في حياته إلى نهاية السورة .

المبحث الثالث :

(**تناظر البنى التركيبية ودلالاتها في المشهد القرآني**) :

ثمة علاقات واضحة بين البنى التركيبية لسورة الانشقاق وما سبقها من سور خاصة (التكوير و الانفطار) فالمتمعن فيها يجد أن تناظر البنى التركيبية ودلالاتها يكاد يشكل نسق هذه السور وان الخطاب واحد والمشاهد القرآنية فيها تكاد تكون مشاهد متناظرة وليست متشابهة تصب في هدف ورؤية واحدة .

إذا نظرنا في سورة التكوير نجد أن مطلع هذه السورة هي مشاهد قرآنية قد اتسعت وتنوعت واستوفت بكل الأدلة

لمجادلة الكفار فجمعت المشاهد ما هو سماوي (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا السماء كشطت) مع ما هو أرضي (وإذا الجبال سيرت، وإذا البحار سجرت) وما هو بشري (وإذا النفوس زوجت، وإذا الموءودة سئلت) مع ما هو حيواني (وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت) فكل هذه المفردات هي من المحسوسات للعقل البشري يقابلها من جهة أخرى مفردات ومشاهد من عالم آخر غير محسوسة للناظر وإنما وعدها الله عباده بعد الموت (وإذا الصحف نشرت، وإذا الجحيم سعرت، وإذا الجنة أُزلفت).

فجمع الله تعالى في خطابه الكريم عالم الشهادة و الغيب والإنسان والحيوان والسماء والأرض وكلها متضادات تدفع العقل نحو التفكير والإنصات لحقائق العلم والمعرفة .

أمّا في سورة الانفطار فتأتي المشاهد القرآنية مكثفة على الرغم من تشابه البنى الشكلي إلا أنها حملت دلالات جديدة ومؤثرة ؛ إذ بعد أن كانت المشاهد القرآنية الأولى السابقة الذكر تشكل ثلاث عشرة جملة أصبحت في سورة الانفطار أربع جمل "إذا السماء انفطرت(١)وإذا الكواكب

انتثرت(٢)وإذا البحار فجـــرت(٣)وإذا القبـــور بعثـــرت(٤)"؛ وكأنّ الخطاب أصبح أكثر شـــدة وعجلـــة لا يتســـع للشـــرح والتفصيل ، في حين أننا نجدها في سورة الانشقاق جاءت في مشهدين فقط هما مشهد الأرض ومشهد السماء مكثفة المعنـــى ومختزلة كل ما سبق ذكره من جبال وبحار وكواكب وقبـــور بقوله تعالى ((إذا السماء انشقت)) وجملة ((وإذا الأرض مدت)) .

مع استيفاء كل الأدلة والبراهين والأجوبة حتى لا يبقى لعقل الكافر أي حجة على ضلالته ، وفي سورة الانشقاق ينعدم الجواب وربما يرجع هذا إلى أن المقام لا يتسع لإعطاء جواب وتعليل للمشاهد بل قوة هذه المشاهد تستغني عن الجواب لعجلة الموقف ورهبته.

فالخطاب في كل من هذه الآيات يتفق بأنه خطاب موجه للكفار والجاحدين الناكرين ليوم الحشر .

فهذا الشبيه المغاير هو حالة استرجاع معكوس فسورة الانشقاق تحيل وتشير إلى مرجعيات في التكوير والانفطار ، ولكن بصورة مختزلة ، أي بدلا من أن تأتي بذكر المشاهد السابقة كاملة نجدها تحيل وتعيد بصورة معكوسة للآيات السابقة بشكل مفصل .

فلو تتبعنا حركة السماء مثلا في مشاهد القيامة في كل من (التكوير + الانفطار+ الانشقاق) ، فسوف نجد أن الدلالة في صورة الانشقاق كانت أقوى وأشد وأسرع من الآيتين السابقتين ، فقوله تعالى ((إذا السماء كشطت)) بمعنى أنها نزعت فطويت ، وفي الحركة الثانية للسماء في سورة الانفطار نجد قوله تعالى ((إذا السماء انفطرت)) أي فطر الشيء يفطره فطرا أو تفطرا ، وتفطر الشيء تشقق ، والفطر الشق أي انشقت"٤٣" .

أما سورة الانشقاق ففي قوله تعالى ((إذا السماء انشقت)) ، والشق هو (الخرم الواقع في الشيء)"٤٤" ، نجد أن الشق قد جمع المعاني السابقة وزاد عليها (الخرم) ، أي أن الانشقاق كان أقوى وأدق وأعمق وأسرع فقوت الدلالة وأصبحت أكثر عمقا في النفس المتلقية هول الأحداث الواقعة يوم الحشر .

وهذا هو المقصود (والله أعلم) من إيراد القرآن الكريم لهذه البنية المختزلة المتشابهة والمغايرة في آن واحد ، كما أن هذا الترابط التفسيري في مفردات ودلالات النص القرآني يؤكد المقولة التي كانت أساس بحثنا في هذا المقال

وهي ((وجود الجزء مرتبط بغيره)) وهي حالة من الاتصال والتكامل والتعاضد ، بل هي حالة من الامتزاج المتكامل الذي لا يمكن عمله إلا بعمل تكاملي للأجزاء .

استرجاع

معكوس

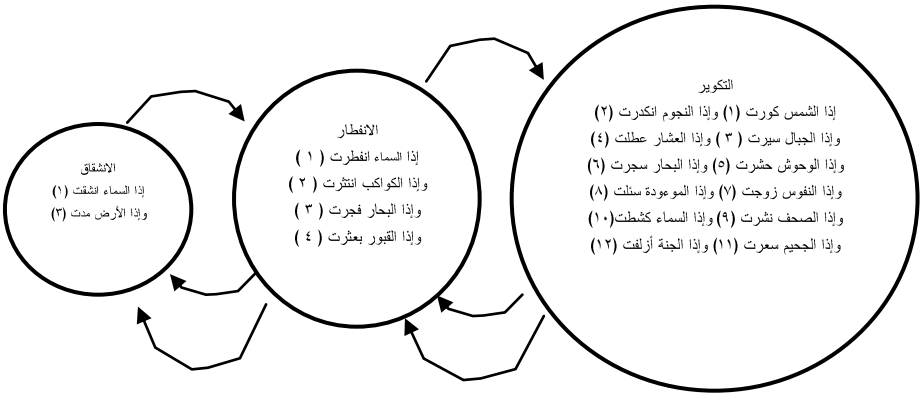

اختزال + تكثيف

اختزا

ل + تكثيف

مخطط تفصيلي لرصد البنى المتحولة في التناظر لسور (التكوير و الانفطار و الانشقاق) .

ونلمح أيضا بنى متناظرة جاءت في سورة الانشقاق تحديدا في بنية القسم (فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق لتركبن طبقا عن طبق) ونجده يستمر في السور التي تلي سورة الانشقاق أولها سورة البروج وتبدأ بقوله (والسماء ذات البروج) وتليها سورة الطارق (والسماء والطارق) ثم تنتقل بعد عدة سور إلى سورة الفجر (والفجر وليالي عشر) وسورة البلد (لا أقسم بهذا البلد) وسورة الشمس (والشمس وضحاها) وسورة الليل (والليل إذا يغشى) وسورة الضحى (والضحى والليل إذا سجى) وسورة التين (والتين والزيتون) وسورة العاديات (والعاديات ضبحا) وسورة العصر (والعصر إن الإنسان لفي خسر) .

ففي هذه الأنساق المتضمنة معنى القسم توحد وتماسك يربط النسق الذي جاءت فيه بالأنساق الأخرى ، وهذا التناظر في بنية القسم دفع بالدلالة نحو القوة والرهبة فانتهى الخطاب القرآني وهو على هذه الشاكلة من التماسك والتكامل.

نتائج البحث :

بعد هذه الدراسة المتأملة لسورة الانشقاق يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وهي :

١. التعالق الدلالي بين اسم السورة ومضمونها مثل ملمحاً أسلوبياً بارزاً.

٢. يمكن أن تعد سورة الانشقاق إجمالًا لما سبقها في سورتى الانفطار والتكوير.

٣. لا يمكن أن يقال أن ترتيب الآيات في السورة جاء بطريقة عكسية إذ بدأ بلحظة المستقبل المتمثل بيوم الحساب مما أثار في نفس الإنسان الرهبة الشديدة من هول ذلك اليوم، وإنما هو ترتيب مقصود لمن يتأمل الحكمة فى نسق الآية فى الوضع الذى جاءت عليه.

٤. أن أصوات الآيات في سورة الإنشقاق جاءت مطابقة للمعنى الدلالي مما وجهته نحو الإفصاح عن المقاصد والرؤى ، وأصوات الجهر بلغت أعلى نسبة في السورة ، كما أن الفواصل لم تكن مجرد أصوات تختم بها الآيات بل جاءت مكملة للمعنى مقويه له.

٥. لقد تميزت ثلاثة انساق في بنية سورة الإنشقاق وهما الشرط و النداء والقسم و على هذه الأنساق ترتبط وتتوجه دلالات الأحداث .

٦. هناك ارتباط دلالي واضح بين سورة الإنشقاق والسور التي تسبقها ، فسورة الإنشقاق هي بنية التكثيف والاختزال لسورتي الانفطار و التكوير .

٧. نجد تعالقًا وظيفيًا لبنية القسم مع السور اللاحقة لسورة الإنشقاق فكانت البداية لسلسلة من السور المبتدئة بالقسم .

الهوامش

١. ينظر : تمام حسان ، اللغة و النقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، ١٩٨٥ : ١٧٥ .

٢. ينظر : كمال أبو أديب ، الأنساق والبنية ، مجلة فصول ، مجلد ١ ، العدد ٤ ، ١٩٨١م ، ٧٣ . ينظر أيضا : كمال أبو أديب ، جدلية الخلفاء و التجلي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م : ١٢ .

٣. ينظر : عبد الصبور شاهين ، علم اللغة العام ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ : ١١٥ – ١٢٢ .

٤. المصدر نفسه : ١١٥ .

٥. محمد الهادي الطرابلسي ، في مفهوم الإيقاع ، مجلة حوليات ، الجامعة التونسية ، العدد ٣٢ ، ١٩٩٩م : ٢٠ .

٦. المصدر نفسه : ٢١ .

٧. ينظر : صفاء خلوصي ، فن التقطيع و القافية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م : ٣٨٩ .

٨. أ – أ– رتشاردز ، مبادئ النقد الأدبي ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة : ١٩٢ .

٩. المصدر نفسه : ١٨٨ .

١٠. المصدر نفسه : ١٨٨ – ١٨٩ .

١١. ينظر : محمد الهادي الطرابلسي ، في مفهوم الإيقاع : ١٥ .

١٢. ينظر : ترجمة إبراهيم الخطيب ، نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلاينين الـــروس ، الشـــركة المغربيـــة للناشـــريين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٢م : ٥٢ .

١٣. ينظر : د. محي الدين رمضان ، وجـــوه مـــن الإعجـــاز الموسيقي في القرآن ط١ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ١٩٨٢ : ٣٦ .

١٤. الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ : ٢٧٠ .

١٥. القرآن الكريم ، سورة فصلت آية ٣ .

١٦. ينظر : د. عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقـــرآن ،ط٢،دار المعارف،القاهرة،١٩٨٧م:١٢٣

١٧. علي الجندي : صور البـــديع :فـــن الأســـجاع،دار الفكـــر العربي،القاهرة،١٩٥١م:٧٤

١٨. ينظر : عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن الكريم ، نشر وتوزيع مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله ، تـــونس ، ١٩٨٠م : ٢٢٥ .

١٩. محمد محمد المبارك ، خصـــائص العربيـــة ، ومنهجهـــا الأصيل في التجديد والتوليد مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٠ : ٢٤ .

٢٠. ينظر : أبن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ط١ تحقيق : بدوي طبانه ، وأحمد الحوفي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م : ١/٣٣٣ :٣٣٥ .

٢١. جوزيف ميشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م : ٤٥ .

٢٢.ينظر : منذر عياشي ، مقالات في الأسلوبية ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٠ م : ٨٣ .

٢٣.مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مطابع رواي للإعلان ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م ، ٣٨١ .

٢٤.ينظر صبحي الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، ٢٠٠٠م : ١/ ١٤٥ .

٢٥.ينظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م : ٣٧٣ .

٢٦.الزمخشري ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة للطباعة والنشر و التوزيع (د. ت) : ٤ / ٧٢٨ .

٢٧. ينظر : صلاح رزق ، أدبية النص ، محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢م : ٢١٦ .

٢٨. ينظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٤م : ١٦٩ .

٢٩. القرآن الكريم ، سورة الفرقان : آية ٢٥ – ٢٦ .

٣٠. القرآن الكريم ، سورة الحاقة : آية ١٦ .

٣١. القرآن الكريم ، سورة التكوير : آية ١ – ٢ .

٣٢. القرآن الكريم ، سورة الإنفطار : آية ١ – ٢ .

٣٣. ينظر : د. حامد صادق قنيبي ، المشاهد في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية وصفية ، مكتبة المنار ، الزرقاء – الأردن ، ١٩٨٤ م : ١٦٧ .

٣٤. القرآن الكريم ، سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

٣٥. القرآن الكريم ، سورة إبراهيم : آية ٤٨ .

٣٦. الزمخشري ، الكشاف : ٤ / ٧٢٥ .

٣٧. ينظر : بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت (د . ت) : ٢ / ٣٢١ .

٣٨. ينظر : قيس الأوسي ، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٨: ٢١٨ .

٣٩. ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير،ط١،مؤسسة التاريخ،بيروت،٢٠٠٠م:٨٢/٣

٤٠. المصدر نفسه ٨٤/٣

٤١. المصدر نفسه ٨٥/٣.

٤٢. ينظر : ابن عبد السلام ابن أبي القاس،تفسير القران،دار ابن حزم،بيروت،١٩٩٦م:١٣٢

٤٣. أبن منظور . جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) : لسان العرب دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٦ : مادة (فطر) .

٤٤. الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، إعداد الدكتور محمد احمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو (د.ت) : ٣٨٧

المصادر

١. القران الكريم

٢. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤م .

٣. أبن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ط١ تحقيق : بدوي طبانة ، وأحمد الحوفي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٤. ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٥. ابن عبد السلام بن أبي القاس ، تفسير القرآن ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٩٩٦م .

٦. أبن منظور . جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) : لسان العرب دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٦ : مادة (فطر) .

٧. الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ،١٩٦٣

٨. الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، إعداد الدكتور محمد احمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو (د.ت) .

٩. الزمخشري ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة للطباعة والنشر و التوزيع (د. ت) .

١٠. ترجمة إبراهيم الخطيب ، نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٢م .

١١. بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت (د . ت) .

١٢. تمام حسان ، اللغة و النقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، ١٩٨٥ .

١٣.جوزيف ميشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م .

١٤. د. حامد صادق قنيبي ، المشاهد في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية وصفية ، مكتبة المنار ، الزرقاء – الأردن ، ١٩٨٤ م .

١٥. أ – أ– رتشاردز ، مبادئ النقد الأدبي ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة .

١٦.صبحي الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، ٢٠٠٠م .

١٧. صفاء خلوصي ، فن التقطيع و القافيـــة ، دار الشـــؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م.
١٨.صلاح رزق ، أدبية النص ، محاولة لتأسيس مـــنهج نقـــدي عربي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
١٩. د. عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقـــرآن ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧
٢٠. عبد الصبور شاهين ، علم اللغة العـــام ، ط٣ ، مؤسســـة الرسالة ، ١٩٨٠ .
٢١. علي الجندي : صور البديع : فن الأســـجاع ، دار الفكـــر العربي ، القاهرة ، ١٩٥١م
٢٢. عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن الكـــريم ، نشـــر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، ١٩٨٠م .
٢٣. قيس الأوسي ، أساليب الطلب عند النحـــويين والبلاغيـــين جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٨ .
٢٤. كمال أبو أديب ، الأنساق والبنية ، مجلة فصول ، مجلد ١ ، العدد ٤ ، ١٩٨١م .
٢٥. كمال أبو أديب ، جدلية الخلفـــاء و التجلـــي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م
٢٦. محمد الهادي الطرابلسي ، في مفهـــوم الإيقـــاع ، مجلـــة حوليات ، الجامعة التونسية ، العدد ٣٢ ، ١٩٩٩م .

٢٧. محمد محمد المبارك ، خصـــائص العربيـــة ، ومنهجهـــا الأصيل في التجديد والتوليد مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٠ .
٢٨.محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخـــرى ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
٢٩. د. محي الدين رمضان ، وجوه من الإعجاز الموســـيقي في القرآن ط١ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمـــان الأردن ، ١٩٨٢ .
٣٠.مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مطابع رواي للإعلان ،الاسكندرية، ١٩٨٧م .
٣١. منذر عياشي ، مقالات في الأسلوبية ، ط١ ، منشـــورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٠ م .

Abstract

Some of the most important results the study concluded are that " Al Inshqaq's " is a constructional reduction and constructional of " Al Taweer " and " Al Infitar " Suras . Moreover the study revealed the semantic relation between the name of the Sura and its content .

Quranic – scape .

coherence of a part to the other parts in the Quranic text through the application in Sura " Al Inshiqaq " in the

This study aims at discovering the beauty and the